هدايات فاتحة الكتاب

د.سعد فياض

بسم الله الرحمن الرحيم

هدايات فاتحة الكتاب

الحمد لله رب العالمين ورب العرش الكريم والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأكرم رسله محمدٌ الأمين عليه أزكى الصلوات وأتم التسليم، وبعد

فقد مُلئت "فاتحة الكتاب" من الأسرار والعلوم ما لو فتح على العبد أقل القليل منها لانصبت عليه ينابيع العلم صباً .

فإن "فاتحة الكتاب " ترسم للمرء الغاية من حياته وترشده إلى وسيلة تحقيقها وتنادي على صراط الله ، وفيها علاج لأمراض القلب التي متى استحكمت فيه أقعدته عن السير إلى مولاه ، فهي هدايات في باب التصور والعلم، وفي باب الإرادة والعمل جميعا ..

وهي السبع المثاني التي دلت على معاني الخير مثنى مثنى ليعقلها المرء ، وهي أم الكتاب التي جمعت معاني الوحي ومقاصد الشرع ، فمن تدبرها حق التدبر فتحت له جميع مراتب الهداية كلٌ على حسب إيمانه ..

بداية السير لجوءٌ واستعانة

تبدأ القراءة بالاستعاذة ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ وفيها اللجوء إلى الله والالتصاق بجنابه والاعتراف بضعف العبد وحاجته لمولاه ، وفيها تذكيرٌ بالعدو الذي أخرج أبوينا من الجنة ، وسخر حياته لغواية البشر لعل النار تمتلئ بهم معه ..

وما سُمي الشيطان شيطاناً إلا لتمرده على طاعة الله ، واستحقاقه الطرد من رحمته، وهذا التمرد على طاعة الله هو ما يحاول بثه بين البشر، فكم قبحها وصورها على أنها عاداتٌ بالية وتقاليد رجعية؟..

وما سميَ بـ"إبليس" إلا لإبلاسه ووسوسته في خفاء تزييناً للباطل كأنه الحق وتقبيحاً للحق كأنه باطل ، فتراه يزين التمرد على شرع الله وأمره باسم الحرية والتقدمية تلبيساً وخداعاً..

والاستعاذة براءة من تمرده و وقايةٌ من تلبيسه لمعاني القرآن وصرفها عن الحق الذي جاءت به.

ثم نبدأ في قراءة أول آيات الفاتحة ـ على الراجح ـ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ① ﴾ والباء تأتي ـ لغةً ـ بمعان منها الاستعانة، فهي استعانةٌ برحمته الواسعة في كل الأمور، وبذلك تنفتح كوامن العلم والفهم، ويوفق المرء لتمام الخير..

وتنبه ـ أخي الكريم ـ لهذا الالتصاق واللجوء في الاستعاذة لدفع الشر، والاستعانة والتوكل في التسمية طلباً للعون وفتحاً لأبواب الخير، فإنه إرشادٌ إلى أنه لا سبيل للمرء لدفع الضر وجلب الخير إلا بالعودة إلى مولاه والالتجاء إليه، فمن أراد الصعود في معارج الهداية ورام فتح أبواب الفهم والتدبر في دين الله فليبدأ المسير بلجوءٍ واستعانة ..

هداية العلم بالمولى

وبعد التسمية حمدٌ لله بكمال صفاته وإنعامه، وهو يفتح أبواب العلم بالله وبأسمائه وصفاته التي توجب في قلب المؤمن حمده سبحانه وحبه . . ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ③ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وفي حمده سبحانه بألوهيته، وربوبيته، ورحمانيته، وملكه إثبات كل كمال للرب فعلاً ووصفاً واسماً، وتنزيهه عن كل عيبٍ فعلاً ووصفاً واسماً ، لذا قال أهل العلم أن هذه الصفات الأربعة عليها مدار أسمائه سبحانه وصفاته، أي أن هذه الصفات في اتساعها وشمولها وكمالها تجمع تحتها صفات الجلال والكمال والجمال التي تدل عليها بقية أسماء الله ، فمن تدبر معانيها فتحت لها أبواب الهداية والعلم بمولاه..

تفكرٌ وسكنٌ وحبٌ وعبادة

فاسمه سبحانه (الله) علمٌ على ذاته، وهو جامعٌ لمعاني أسماء الله الحسنى كلها ، ومتضمن لكمال الجلال والجمال ..

وقيل أنه" بمعنى المألوه : أي المعبود ، والتأله هو : التعبد والتنسك" وقيل " هو من قول العرب ألهت إلى فلان أي سكنت إليه" وقيل " من: ألهت إليه، أي فزعت إليه" وقيل " من أله: إذا تحير " وقيل " أصل الإله "ولاه" فأبدلت الواو بالهمزة واشتقاقه من الوله" وقيل" مشتق من الارتفاع ،فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع (لاها)"

فهو سبحانه من تأله العقول و(تأله إليه) القلوب، فالعقل والفكر يحتار في حقائق صفاته وفي عجيب مخلوقاته،والقلوب لا تسكن إلا بذكره،وليس للعباد ملجأ يفزعون في النوائب إلا إليه. وهو سبحانه من ارتفع بذاته مستوياً على عرشه، فهو

وحده سبحانه المستحق للتأله والتعبد والتنسك .. كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦

ولو تفكر قلب العبد في هذه المعاني الجليلة لاسم (الله) لأوجبت له السكون إلى مولاه واللجأ إليه ووقوف العقل عن التفكير في ذاته إلى تدبر أسمائه وصفاته والنظر في عظيم مخلوقاته.. وتكاد القلوب المؤمنة أن تتفتت من فرط محبتها له،وتعلقها به ،مما يثمر أنس هذه القلوب به وحده لا بسواه، فلا يفتر الجسد عن خدمته، ولا يسأم اللسان عن ذكره ، ويوجب خضوع العبد لمولاه والذل والانقياد على التمام ، وتقديم رضاه على كل ما سواه .

تدبيرٌ وقهر

وعم سبحانه العالمين بربوبيته ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ والرب هو السيد ، والعالمون جميع المخلوقات ، واختصاص هذا الجمع بلفظ العالمين لاشتماله على العقلاء والجمادات فهو مالك الأعيان ومُنشيها ، ومُوجد الرسوم والديار بما فيها .

ويدل اسم الرب على تربية الخلق ، فهو مُربٍ نفوس العابدين بالتأييد ومربٍ قلوب الطالبين بالتسديد ، ويدل اسم الرب أيضاً على إصلاحه لأمور عباده ؛ فهو مصلح أمور الزاهدين بجميل رعايته ، ومصلح أمور العابدين بحسن كفايته ...

أصلح أمور قوم فاستغنوا بعطائه ، وأصلح أمور آخرين فاشتاقوا للقائه ، وقوم أصلح أمورهم فاستقاموا للقائه..

وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة. فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا. والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب.

ودل قوله ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ على انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه بكل وجه واعتبار، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأعراف: ٥٤

فمن وقف على معاني ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وجده قيُّومًا قام بنفسه؛ وقام به كلُّ شيء، فهو قائمٌ على كلِّ نفس بخيرها وشرِّها، قد استوى على عرشه، وتفرَّد بتدبير ملكه، فالتدبير كلُّه بيديه، ومصير الأمور كلُّها إليه، فمراسيم التدبيرات نازلة من عنده بالعطاء والمنع، والخفض والرفع،والإحياء والإماتة،والتوبة والعزل،والقبض والبسط،

وكشف الكروب وإغاثة الملهوفين وإجابة المضطرِّين: ﴿ يَسْئَلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ الرحمن: ٢٩. لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا مُعقب لحكمه، ولا رادَّ لأمره، ولا مُبدِّل لكلماته، تعرج الملائكة والروح إليه، وتعرض الأعمال - أول النهار وآخره - عليه، فيُقدِّر المقادير ويُوقِّت المواقيت، ثم يسوق المقادير إلى مواقيتها، قائمًا بتدبير ذلك كله وحفظه ومصالحه..

فربوبيته ﷻ أعظم دليل على ألوهيته وأنه وحده سبحانه المستحق للعبودية، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ الأنعام: ١٠٢

ولو عقل المرء ضعفه وحاجته إلى ربوبية مولاه في كل شيء لأورثه ذلك الحب والخضوع لله رب العالمين، ولو تفكر في أمره الكوني وتفرده به وحده لعلم أنه لا يحق لأحدٍ أن يشرك معه في أمره الشرعي تحليلاً أو تحريما أو تشريعا.

رحمةٌ بالظواهر وتوفيقٌ للسرائر

وأما اسميه سبحانه ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فجمعا صفات الإحسان والجود والبر والحنان والمنة والرأفة واللطف، وكررت الصفة لعمومها وثبوت تعلقها ..

فبرحمته أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وبها هداهم وبها أسكنهم دار ثوابه وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم ...

وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها ..

وبرحمته رزق عباده وخلق لهم ما يصلح دنياهم وهداهم إلى ما يصلح أخراهم وقدر بينهم ما تتم به معايشهم ..

وأما الجنة وسكانها وأعمالهم، فبرحمته خُلقت، وبرحمته عُمرت بأهلها، وبرحمته وصلوا إليها، وبرحمته طاب عيشهم فيها.. ،

واقتضاء الرحمة لما يحصلُ به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما يحصل به حياة الأبدان ..

و(الرحمن) من الأسماء التي خص الله بها نفسه،و(الرحيم) الراحم لعباده المؤمنين؛ قال تعالى:﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٣ قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان احدهما أرق من الآخر ، فالرحمن خاص الاسم عام المعنى ، والرحيم عام الاسم خاص المعنى؛ فلأنه الرحمن رزق الجميع ما فيه راحة ظواهرهم، ولأنه الرحيم وفق المؤمنين لما به حياة سرائرهم، فالرحمن بما روَّح، والرحيم بما لوَّح؛ فالترويح بالمَبَارِّ ، والتلويح بالأنوار: والرحمن بكشف تَجَلِّيه والرحيم بلطف توليه، والرحمن بما أولى من

الإيمان والرحيم بما أسدى من العرفان، والرحمن بما أعطى من العرفان والرحيم بما تولى من الغفران، والرحمن بما يصنع لهم والرحيم بما يدفع عنهم؛ فالصنع بجميل الرعاية والدفع بحسن العناية

فالرحمن أوسع أسمائه والرحمة أوسع صفاته ؛قال تعالى:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ طه: ٥،فاستوى بأوسع صفاته على أوسع مخلوقاته، وكتب لما خلق الخلق كتابا فهو عنده فوق عرشه «أن رحمته سبقت غضبه» وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منه سبحانه للخليقة كلها بالرحمة لهم، والعفو عنهم، والصفح عنهم، والمغفرة، والتجاوز، والستر، والإمهال، والحلم، والأناة ..

ولذا قرن سبحانه رحمته هنا بربوبيته للعالمين فقال سبحانه:﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾فشمل جميع الخلائق برحمته، يقول ابن القيم: " فوسعت رحمته كل شيء، ووسعت نعمته كل حي، فبلغت رحمته حيث بلغ علمه". فبين خلقه وبينه سبب العبودية؛ وبينه وبينهم سبب الرحمة..

ولو تأمل المذنب حاله وحال الخلق مع بره وإحسانه الذي عمهم به، وكيف يشكرون غيره، ويعصون أمره؛ ويواقعون نهيه، ثم هو سبحانه يهديهم ويبتليهم بالخير والشر ويمهلهم،لأوجب ذلك في القلب توبة وحياءً ومزيد حبٍ وتعلقٍ ورجاءٍ وحمدٍ وشكر له ﷻ

كمال القهر والعدل

ولما كانت الربوبية لا تتم إلا بالملك المفيد للعزة المقرون بالهيبة المثمرة للبطش والقهر المنتج لنفوذ الأمر اتبع ذلك بقوله:﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ترهيباً من سطوات مجده ..

وحقيقة الملك:إنما تتم بالعطاء والمنع؛ والإكرام والإهانة؛والإثابة والعقوبة؛ والغضب والرضا؛ والتولية والعزل؛ وإعزاز من يليق به العزُّ، وإذلال من يليق به الذلُّ. قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾آل عمران: ٢٦-٢٧

وقال تعالى: ﴿ يَسْئَلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ الرحمن: ٢٩، فتصرُّفه في ملكه دائرٌ بين العدل والإحسان؛ والحكمة والمصلحة والرحمة؛ ولا يخرج تصرُّفه عن ذلك..

أما يوم الدين فسمي بذلك لأنه يوم الجزاء بالعدل، ويوم القهر، وهو يوم لا تنفع فيه إلا الطاعة، وخصه بالملك لتفرده سبحانه فيه بالحكم، ولأنه اليوم الحق وما قبله

كساعة، ولأنه الغاية وأيام الدنيا مراحل إليه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ الانفطار: ١٧- ١٩

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ: "يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟" رواه مسلم (2788)

فهو ﷻ ينادي يوم القيامة : ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه بنفسه ﷻ ﴿ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ غافر: ١٦ . فيظهر تمام الظهور كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق. حتى يستوي الملوك والرعايا.. كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته،منتظرون لمجازاته،راجون ثوابه، خائفون من عقابه،فهو بإلهيته متوحد، وبملكه متفرد.. فأمّا الأعداء فيحاسبهم ثم يعذبهم وأمّا الأولياء فيعاتبهم ثم يقربهم..

فمن تم له العلم بأنه سبحانه ملك يوم الدين لا ترى لضرورات الدنيا الزائفة الزائلة تحكمٌ فيه فقد استعلى عليها، ثم هو لا يخالجه شكٌ في جزاء سعيه إذا تأخر عن هذا العمر القصير المحدود المحصور في هذه الدنيا، فيثمر ذلك العمل لوجه الله وانتظار الجزاء حيث يقدره الله، في الدنيا أو في الآخرة سواء، وتملأ القلب الطمأنينةٌ والثقةٌ والإصرار على التمسك بالحق..

وعقيدة الإيمان بيوم القيامة مفرق الطريق بين العبودية للنزوات والرغائب وانطلاقة النفس من ربقها إلى رحاب العبودية لله وحده، وبين الخضوع لتصورات الدنيا وقيمها وموازينها والتعلق بالقيم الربانية والاستعلاء على منطق الدنيا الفانية..

ولا تستقيم حياة البشرعلى منهج الله ما لم يؤمنوا بيوم البعث والنشور .. وما لم تطمئن قلوبهم إلى أن جزاءهم على الأرض ليس هو نصيبهم الأخير .. وما لم يثق الفرد المحدود العمر بأن له حياة أخرى تستحق أن يجاهد لها ، وأن يضحي لنصرة الحق والخير معتمداً على العوض الذي يلقاه فيها . .

وما يستوي المؤمنون بالآخرة والمنكرون لها في شعور ولا خلق ولا سلوك ولا عمل .. فهما صنفان مختلفان من الخلق .. وطبيعتان متميزتان لا تلتقيان في الأرض في عمل ولا تلتقيان في الآخرة في جزاء . . وهذا هو مفرق الطريق بينهما . .

فمن تدبر ذلك لم يقر له قرارٌ على معصية أوتنكب لطريق الهدى، بل يثمر ذلك وجل القلب ويقظته من غفلته أوغفوته..

وهذه الهدايات في العلم بالله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين والتي تُقسم بين العباد كما الأرزاق تُثمر في القلوب حمداً بمقدار ما فُتح لها ، وعَلمَ الحق ﷻ شدة إرادة أوليائه بحمده وثنائه،وعجزَهم عن القيام بحق مدحه على مقتضى عزه وسنائه فأخبرهم أنه حَمِد نفسه بما افتتح به خطابه بقوله : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ ، فانتعشوا بذاك بعد الذِّلة ، فالحمد لله رب العالمين.

وهذا خطيب الأولين والآخرين، سيد الفصحاء، وإمام البلغاء ﷺ، لمّا سمع حمده ﷻ لنفسه ، علم ﷺ أن تقاصر اللسان أليق به في هذه الحالة فقال: « لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك » ،فكان افتتاح الكلام بالتحميد سنة الكتاب المجيد لكل بليغ مُجيد ..

وحقيقة الحمد الثناء عليه سبحانه بذكر نعوته الجليلة وأفعاله الجميلة المثمر لحب القلب وخضوعه، واللام هاهنا للاستغراق؛ فجميع المحامد لله سبحانه إمَّا وصفاً وإمَّا خَلقاً،فله الحمد لظهور سلطانه،وله الشكر لوفور إحسانه.والحمد لله لاستحقاقه لجلاله وجماله، والشكر لله لجزيل نواله وعزيز أفضاله ، فحمده سبحانه له هو من صفات كماله وحَوله،وحمد الخَلق له على إنعامه وطوله، وجلاله وجماله استحقاقه لصفات العلو ، واستيجابه لنعوت العز والسمو.

فهو ﷻ المحمود في ألوهيته المحمود في ربوبيته المحمود في رحمانيته المحمود في ملكه، المحمود لاقتران ملكه وعدله برحمته ولاقتران ألوهيته ولزوم عبادته بربوبيته لعموم خلقه،فالحمد أعم المعارف وأوسع العلوم،وهو متضمن لجميع صفات كماله ونعوت جلاله، مستلزم لها كما هو متضمن لحكمته في جميع أفعاله وأوامره،و هو سبحانه المحمود على كل حال، وعلى كل ما خلقه وشرعه ..

فمن امتلأ قلبه بالحمد امتلأ ميزانه به يوم لقاء مولاه ، قال ﷺ: "والحمد لله تملأ الميزان" .. فاللهم لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ولك الحمد كله حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا.

هدايات الوصول (عبادةٌ وإعانةٌ)

ومن صح له العلم بمولاه لا يصح في حقه ركونٌ إلى دنياه، بل تسير به همته في الطريق الموصلة لغايته من رضا ربه وجنته، فيقطعها العبد بالعبادة ومنه سبحانه الإعانة، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ ،فهي مقسومة بين العبد ومولاه،وفي الحديث القدسي: " هذا بيني وبين عبدي "

وكما جمعت معاني القرآن وكلياته في الفاتحة فقد جمعت معاني الفاتحة في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، إذ العبادة تبرؤٌ من الشرك، والاستعانة تبرؤٌ من الحول والقوة وإلى هذين المعنيين يرجع الدين كله .

وأما حقيقة العبادة غاية الحب مع غاية الذل والخضوع، والطريق المعبد المذلل للسير فيه، فلو عبَّد المرء قلبه لسارت عليه نصوص الوحي مثمرةً امتثال الأمر واجتناب النهي ، وعلى قدر وعورة القلب وقساوته يكون تململه وعناده . .

وأما حقيقة الاستعانة الثقة بالله والاعتماد عليه، ومنشأ ذلك معرفة القلب بمولاه وأنه سبحانه المتفرد بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه ما شاءه كان وإن لم يشأ الناس،وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس، فلا يعتمد إلا عليه ولا يفوض أمره إلا إليه ولا يطمئن قلبه إلا به، فحال المستعين كحال الطفل مع أبويه فيما يرجوه أو يخافه، لا تجد قلبه يلتفت إلى غير أبويه وتراه كامل الثقة والاعتماد عليهما فهذه حال المتوكل ومن كان هكذا مع الله فالله كافيه ولا بد قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ الطلاق: ٣، أي: كافيه .

فالعبادة تشير إلى بذل الجهد والمُنَّة ، والاستعانة تخبر عن استجلاب الطول والمِنَّة ، وبالعبادة يظهر شرف العبد ، وبالاستعانة يحصل اللطف للعبد . . وفي العبادة وجود شرفه ، وبالاستعانة أمان تلفه . . والعبادة ظاهرها تذلل ، وحقيقتها تعزز وتجمُّل :

وإذا تذللت الرقاب تقرباً ... منا إليك ، فعزُّها في ذُلِّها

فالعبادة نزهة القاصدين،ومستروح المريدين، ومربع الأنس للمحبين، ومرتع البهجة للعارفين . . بها قُرَّة أعينهم، وفيها مسرة قلوبهم،ومنها راحة أرواحهم . وإليه أشار ﷺ بقوله : « أرحنا بها يا بلال » . .

والاستعانة إجلالك لنعوت كرمه ، ونزلك بساحة جوده ، وتسليمك إلى يد حكمه ، فتقصده بأمل فسيح ، وتخطو إليه بخطو وسيع . .

فوجب من ذلك على المعرضين عن مقام العبادة والاستعانة إلى الانشغال بسفاسف الدنيا الخذلان ، ووجب عليهم بتعلق قلوبهم بالأسباب دون مسببها الذل . .

وقد يسألونه سبحانه شهواتهم وحظوظهم فيستجيب لمثل ذلك طرداً وإبعاداً وزيادةً في الشقاوة ، نسأل الله العافية .

وأما من له نوع عبادة مع نقص توكل ، فإنه يستجلب من الضعف والمهانة والخذلان والعجز بمقدار ما نقص من توكله.

وأما من له نوع استعانة على تحصيل الدنيا والمال والشرف بلا عبادة فلو كانت سبيلاً للطاعة نفعته وإلا ألحقته بالملوك الظلمة والأغنياء الفجرة

وفي تقديم [إياك] وتكراره الاهتمام والحصر أي لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك وهذا كمال الطاعة، وفي النون معنى الاجتماع في الصلاة وفي الطلب..

ومن هنا تظهر هدايات الوصول في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ حيث بها صلاحُ الإرادة والعمل، فتتمحص عند العبد غايته في حياته فلا ينشغل بغيرها، و الوسيلة الموصلة إليها فلا يتوسل بما سواها . .

فمن فسدت غايتهم من أهل الشهوات وأصحاب الرياسات والوجاهات فلا تراهم قائمين بالحق إلا إذا وافق أغراضهم وأهواءهم ،فإن رأوه عائقاً أو مانعاً من رياستهم ووجاهتهم طحنوه وداسوه بأرجلهم ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ النور: ٤٨ - ٤٩، فهؤلاء قد يفرحون قليلا فإذا بطلت الغايات التي طلبوها واضمحلت وفنيت أصابهم أعظم الخسران والحسرات، وهذا يظهر كثيرا في الدنيا ويظهر أقوى من ذلك عند الرحيل منها والقدوم على الله ويشتد ظهوره وتحققه في البرزخ وينكشف كل الانكشاف يوم اللقاء إذا حقت الحقائق وفاز المحقون وخسر المبطلون وعلموا أنهم كانوا كاذبين وكانوا مخدوعين مغرورين فياله هناك من علم لا ينفع عالمه ويقين لا يُنجي مستيقنه .

وأما من طلب الغاية العليا ولكن لم يتوسل إليها بالوسيلة المشروعة ، بل توسل إليه بوسيلة ظنها موصلة إليه كالبدع فهذا من أعظم القواطع، وفساد وسيلته يحول دون وصوله لمقصده وقد يكون سبب ذلك فسادٌ في القصد كذلك ..

أما من كان حاله بين العبادة والاستعانة فهذا مظنة التوفيق والهداية ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود: ٨٨، ومن هنا كانت نصيحة المحب ﷺ لحبيبه معاذ بن جبل رضي الله عنه: "يا معاذ والله إني لأحبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" نصيحةٌ بأنفع الدعاء مما يحتاجه العبد في جميع أحواله ..

وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُور

وفي قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ دواء لأمراض القلوب وهو مركب من ستة أجزاء ثلاثة تصح بها العبودية لله لا غيره: أن تكون بأمره وشرعه ، وألا تكون بالهوى ، وألا تكون بآراء رجالٍ وأوضاعهم ورسومهم وأفكارهم. .

وثلاثة تصح بها الإستعانة: بأن تكون به سبحانه، وأن يتبرأ العبد من قوته وحوله، وألا يعتمد قلبه فيها على غيره سبحانه، فإذا استعمل المريض الدواء حصل له الشفاء التام وما نقص من الشفاء فهو لفوات جزء من الدواء أو أكثر ..

ومن أخطر أمراض القلوب، مرضان يعرضان للقلب فيتلفانه ويُفسدانه ويُذهبا الإيمان منه: الرياء والكبر..

ودواء الرياء بـ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ودواء الكبر بـ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فلو تدبر المرائي حقيقة العبودية ومقام الألوهية لما التفت إلى البشر فما لهم من الأمر شيء، ولو نظر المتكبر لحقيقة الاستعانة لرأى صغر نفسه عجزها وضعفها وحاجتها، لذا قال بعض العارفين: "كن مع الحق بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس، ومن لم يكن كذلك لم يزل في تخبيط ولم يزل أمره فرطا"

وقد قال أهل العلم أن ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ له سبحانه، وأن ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ للعبد، وفي الحديث :"هذا بيني وبين عبدي" فبالنصف الأول تصلح علاقة العبد بمولاه فيذهب الرياء ويتحقق الإخلاص، وبالثاني ينصلح نظر المرء لنفسه فيذهب الكبر ويحل التوكل، يقول ابن القيم رحمه الله: (فإذا عوفى من مرض الرياء بـ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ومن مرض الكبرياء والعجب بـ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ومن مرض الضلال والجهل بـ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ عوفى من أمراضه وأسقامه ورفل في أثواب العافية وتمت عليه النعمة وكان من المنعم عليهم ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وهم أهل فساد القصد الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ وهم أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه. وحقّ لسورة تشتمل على هذين الشفاءين: أن يستشفى بها من كل مرض)

يهديهم ربهم بإيمانهم

فمن صح له العلم بالله سبحانه والعلم بالطريق الموصل إليه، وصحت غايته ووسيلته فهو أحوج ما يكون إلى هداية الله إرشاداً وتوفيقاً، فكان بداية الدعاء الإرشاد إلى طلبها بقول ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ وكان هذا الدعاء هو حظ العبد من الله، ولم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه. كما من الله على رسوله ﷺ بعد الفتح بقوله: ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ الفتح: ٢ ،والمراد يوفقك ويرشدك، فتضمنت الهداية إلى ذلك العلم والعمل الصالح على وجه الاستقامة والكمال والثبات عليها حتى لقاء الله.

والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى:﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ وارد على التهكم، وأصلها الإمالة ، فمعنى اهدنا أي مِلْ بنا إليك ، وخُذنا لك ، وكن علينا دليلنا ، ويَسِّرْ إليك سبيلنا ، وأقم لنا هممنا ، واجمع بك همومنا..

والعبد أحوج ما يكون إلى هذه الهداية وإلا انقطع، فهو محتاجٌ إلى هداية الله ليعلم الحق ويدركه، ثم ليقدره عليه ،ثم ليجعله مريدا له، ثم ليجعله فاعلا له، ثم ليثبته عليه ويستمر به عليه، ثم ليصرف عنه الموانع والعوارض، كل هذا يحتاجه المرء ليهتدي لطريق الحق إجمالاً، ثم بعد ذلك يحتاج إلى هداية أخص من الأولى ليعرف تفاصيله وتفصيل منازله، ثم يحتاج إلى هداية ليشهد المقصود من كل عبادة لينتبه إليه فلا يلتفت إلا إليه، ثم يحتاج إلى هداية ليشهد فقره فإنه لو ضل عن هذا المعنى انقطع عن السير، ثم هو في حاجة أن يهديه مولاه لطريقي المنحرفين عن الحق،طريق أهل الغضب الذين عدلوا عن اتباع الحق قصدا وعنادا وطريق أهل الضلال الذين عدلوا عنه جهلا وضلالا، فمن هداه الله إلى ذلك فقد هُدي إلى الصراط المستقيم الواحد الذي سار عليه جميع أنبياء الله ورسله وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين ..

وهذه الهداية إلى الصراط المستقيم أجل ما يُطلب ونيلها أشرف ما يوهب ،لذا أرشد الله عباده إلى وسيلتين لا يكاد يُرد معهما دعاء : التوسل إليه بأسمائه وصفاته ، والتوسل إليه بعبادته، وبالتفاوت فيهما تتفاوت استجابة الله للسائلين ..

فمن اهتدى بالدلالة والإرشاد إلى معرفة الحق، واهتدى بتوفيق الله إلي العمل والثبات، وتمت له هدايته بأن يُهدى إلى تقصيره وذنبه ليتوب منه، كان ممن يهديهم ربهم إلى منازلهم في الجنة، قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ يونس: ٩.

وأما من بين الله لهم الحق فلم يسلكوا طريقه واستحبوا العمى والمعصية كقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ فصلت: ١٧ ،وقوله تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾ النحل: ٣٧ ،فيُهديهم يوم القيامة إلى نار الجحيم ، قال تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ الصافات: ٢٢ - ٢٣

فاللهم اقطعْ أسرارنا عن شهود الأغيار،ولوِّح في قلوبنا طوالع الأنوار، وأفرِدْ قصودنا إليك عن دَنَس الآثار،ورقِّنا عن منازل الطلب والاستدلال إلى جَمْع ساحات القرب والوصال

اللهم واهدنا الصراط المستقيم حتى لا يصحبنا قرين من نزغات الشيطان ووساوسه، ورفيق من خطرات النفوس وهواجسها، أوتستهوينا آفة من نشو أو هوادة، وظن أو عادة، وكلل أو ضعف إرادة، وطمع مالٍ أو استزادة ..

وهذا صراط ربك مستقيماً

وفضل الهداية وعظيم سعادة من نالها هو فضلٌ لهذا الصراط الذي بالهداية يكون الإرشاد إليه والتوفيق للثبات عليه ..

وهذا الصراط هو محل السلوك الذي لا وصول بدونه، وهو مرجع الضال إلى ما ضل عنه ، وهو الذي لا يضل بمهتديه لإحاطته وشمول سريانه..

والصراط في اللغة ما جمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقا مستقيما، سهلا، مسلوكا، واسعا، موصلا إلى المقصود، وهكذا صراط ربك لا ترى فيه اعوجاجاً، ولا عنتاً ومشقة، يسلكه الصالحون، ويتسع لكل من أراد لزومه، ومن صبر عليه وصل إلى مقصوده من رضا الله والجنة. و"المستقيم" هنا مستعار للحق البين الذي لا تخالطه شبهة باطل فهو كالطريق الذي لا تتخلله بُنَيَّات، والله أعلم..

فهو كما يقول ابن القيم - رحمه الله - : (طريق الله الذي نصبه لعباده على ألسنة رسله وجعله موصلا لعباده إليه ﷻ ولا طريق لهم إليه سواه بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا، وهو إفراد الله بالعبودية وإفراد رسوله ﷺ بالطاعة فلا يشرك به أحدا في عبوديته ولا يشرك برسوله أحدا في طاعته، فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول ﷺ ،وهذا معنى قول بعض العارفين: "إن السعادة والفلاح كله مجموع في شيئين صدق محبته وحسن معاملته" وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ،فأي شيء فُسر به الصراط فهو داخل في هذين الأصلين، ونكتة ذلك وعقده" أن تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك كله فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه ولا تكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته") .. فالصراط المستقيم ما عليه من الكتاب والسنة دليل، وليس للبدعة عليه سلطان ولا إليه سبيل... الصراط المستقيم ما شهدت بصحته دلائل التوحيد ، ونبهت عليه شواهد التحقيق... الصراط المستقيم ما دَرَجَ عليه سَلَفُ الأمة، ونطقت بصوابه دلائل العبرة..

فمن التزم صراطه في الدنيا جاز الصراط في الآخرة،ومن علقت كلاليب الدنيا والهوى بقلبه خطفته كلاليب جهنم من على طريق الصراط ، نسأل الله الهداية إلى صراطه المستقيم إرشاداً وتوفيقاً ..

تشريفٌ وإنعام

والنفس قد يخالجها سؤالٌ عن مقدار الربح والخسارة لمن سلك هذا الصراط، وقد يستوحش المرء لقلة السالكين، وقد تتقافز شياطين الإنس أمامه تزين سبل الضلال وتسخر من أهل الحق وصراطهم، فجاء البيان والتفصيل بما لهم من تفضيل، قال تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ،فرفع الله قدرهم وأضاف الطريق لهم تشريفاً لهم وتذكيرا بنعمته عليهم وتعليما لكل سائر ليقتدي بهم،فأي شرفٍ بعد هذا الشرف؟، وأما استهزاء شياطين الإنس بهم فلا يعدو كونه صدا عن سبيل الله وما سخريتهم منهم إلا سُخرية من الصراط نفسه إذ نسبه سبحانه إليهم ..

وأولى الناس بهذه النسبة والوصف الذين ﴿ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ النساء: ٦٩ فكيف تحصل للسائر وحشه وهؤلاء رفقاؤه وقدوته؟،وكيف يكترث بالمخالفين الناكبين عنه وهم الأقلون قدرا وإن كانوا الأكثرين عددا ؟، وكما قال بعض السلف: "عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين"..

ولذلك ندعو في دعاء القنوت "اللهم اهدنا فيمن هديت" أي أدخلني في هذه الزمرة واجعلني رفيقا لهم ومعهم، فهو توسل إلى الله بنعمه وإحسانه أي كما أنعمت بالهداية عليهم فاجعل لنا نصيبا من هذه النعمة ،واجعلنا واحدا من هؤلاء المنعم عليهم ،وتصدق علينا في جملة من تصدقت عليهم وعلمنا في جملة من علمتهم وأحسن إلينا في جملة من شملتهم بإحسانك.

فالهداية إلى هذا الصراط هي أعظم ما أنعم الله به على أحد، قال ﷻ ﴿ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ الأنعام: ٨٧، وبهذه الهداية يظهر الدين وينتصر أهله، قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ التوبة: ٣٣، وقال سبحانه: ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ آل عمران: ٣-٤،والفرقان هو النصر،فمن أنعم على عباده بإنزال الهدى أتم نعمته بإنزال النصر عليهم وإن كانوا أقلة، فمن نصر الحق في نفسه ؛ نصر الله به الحق في أرضه وأعلى به راية الدين وأذل به أعداءه ، فكم في الهداية إلى هذا الصراط من نعمٍ لا يحصيها المرء؟، وهو ما يستوجب الشكر وهذا الشكر لا يتم إلا بهداية الله وهكذا ، فما حال العبد إلا التقصير ، وللرب سبحانه الإفضال والإنعام..

ومن أعدائك عالمٌ وعابدٌ...!

وبعد أن علمنا ﷺ محامده ونعمه وصراطه وسبيل الوصول إليه .. حذرنا من سبيل الضلال وأسباب الغضب، إذ لا يستقيم المرء على الحق إلا بذلك قال تعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ، فالحمد لله كثيراً .. سبحانه رحمته سبقت غضبه...

فالناس ثلاثة:

الأول: عالمٌ بالحق عاملٌ به، زكى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح فكان من المفلحين ،قال تعالى:[قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا] ، فهذا من المنعم عليهم

والثاني: عالمٌ بالحق متبعٌ لهواه فهذا من المغضوب عليهم ،وأحق من وصف بذلك اليهود، قال تعالى﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ البقرة: ٩٠ ، وقال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المائدة: ٦٠ ، ومثلهم كل من سار خلف هواه وخالف ما يعلمه من الحق، كما قال ﷺ: " من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه غضبان" "متفقٌ عليه".

والثالث: جاهلٌ بالحق فهذا من أهل الضلال، وأولى من وصف بذلك النصارى، قال تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المائدة: ٧٧ ،ومن حديث عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون".

"صحيح سنن الترمذي"

وإن كان المغضوب عليه ضال عن هداية العمل، وكذلك الضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل،ولكن يوصف كل فريق بالأغلب وبالأصل في فساده.

وبهذا الفهم نطق السلف فقالوا :"من فسد من علماء الأمة ففيه شبه من اليهود ،ومن فسد من عبادها ففيه شبه من النصارى"، ولعل من أوجه الشبه بين العالم الفاسد وأمة اليهود نقض المواثيق إذ أخذ الله على أهل العلم ميثاق التبيين فمن نقضه فقد أشبه اليهود إذ ذمهم الله بكثرة نقض المواثيق ..

فليتنبه من جعل العلم منتهى غايته فجمعه ولم يؤد زكاته عملاً به ونصرةً له، فقد ذم الله من لا يعمل بعلمه وغضب عليه، وليتنبه من يعمل بلا علمٍ ويظن نفسه على شيء، فقد ذم سبحانه أهل الضلال، والضلال قد يكون عن الغاية وقد يكون عن الوسيلة الصحيحة الموصلة ..

افتقارٌ وإلحاحٌ

وكما يبدأ العبد قراءته باللجوء والالتصاق بجنب الله لدفع الشر والاستعانة على الخير ، فإن العبد يختمها بالافتقار إلى مولاه والتوسل بين يديه، فيقول العبد آمين، أي يا رب افعل واستجب ..

وكأنه يستدعي بهذه القالة التوفيق للأعمال ، والتحقيق للآمال ..

وتحط رِجلُه بساحات الافتقار ، ويناجي حضرة الكرم بلسان الابتهال ..

ويتوسل (بتبريه) عن الحول والطاقة والمُنَّة والاستطاعة إلى حضرة الجود ..

وإن أقوى وسيلة للفقير تعلقه بدوام الاستعانة لتحققه بصدق الاستغاثة ..

فمن كان هذا حاله فيوشك أن يُستجاب له ...

فهنيئاً له الحيازة بعد الهداية ..

حيازة الإيمان .. بعد الهداية إلى صلاح العلم والأعمال ..

تم جمع المادة من: مدارج السالكين ـ شفاء العليل ـ الفوائد ـ بدائع الفوائد ـ الطبري ـ النسفي ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ـ تفسير القشيري ـ ظلال القرآن ـ تفسير السعدي ، وغيرها

للتوزيع الخيري
دار الأبرار
المنصورة - ٥ شارع الحاري - عزبة عقل - أمام المرور - هاتف: ٠١٠٤٠٤٥٩٢٨